الى المطاردة

قصة بقلم
برهان الخطيب

... فقال الاول :
ـ لقد فقدنا كل شيء !
اجاب الشاب بهدوء وعلى شفتيه ابتسامة حزينة !
ـ لا ، على العكس ..

قال السائق وهو رجل سمين يلبس بدلة زرقاء عتيقة ويضع على راسه عقالا ملطخا وشماغا قذرا :

ـ كم تقدر سيدفعون لنا عنه ؟

وكان وجهه يحمل ذلك التعبير الباكي الذي لا يتغير حتى عندما يبتسم عيناه مائلتان الى اسفل وانفه وفمه يبدوان كالشمع المقلوب والنظرة المنطفئة الدامعة من تأثير العمش تلوح ثابتة في عينيه لا تتغير رغم السرعة الكبيرة التي ينطلق بها ورغم حدة الانعطافات الخطرة التي يقوم بها .

وتأخر الرجل الثاني في الرد عليه وهو شاب يرتدي بنطلونا وقميصا من الخاكي ويضع على عينيه نظارة سوداء ليتقي تأثير انعكاس اشعة الشمس الموهج في الخارج . وكان يجلس الى جانب السائق في المقعد الامامي يحني راسه الى امام وينظر عبر الزجاج يكز على شفته السفلى بقوة واصابعه تتصلب على بندقية الصيد وهو يحتضنها بين ذراعيه . قال اخيرا :

ـ لا ادري .

اضاف السائق ذو الوجه الباكي بصوته الشبيه بخوار ثور مذبوح وبلهجة بطيئة الا انها تشي بالاحتجاج :

ـ على الله .. لعلنا ننال الجزاء على اخر التعب هذا .

وقفزت السيارة فجاة بعد ان عبرت حفرة صغيرة فاجاب الشاب وهو ينظر نحو الوجه الباكي :

ـ بالتأكيد .. ليس اقل من خمسين دينارا .

فتنحنح السائق وتحرك وهو في مقعده ثم كرر مرة ثانية وهو يواصل النظر امامه بنظرته المنطفئة الدامعة :

ـ على الله .

قال الشاب :

ـ انطلق بسرعة اكبر .. لا بد ان نلقاه هنا او هناك انه لا يستطيع ان يبعد .

.. وقفزت السيارة مرة اخرى فقال السائق :

ـ لن يستطيع الافلات ، اذ اين يمكنه الاختفاء وهذه الارض تنبسط كراحة اليد .

واجاب الشاب :

ـ اريده حيا مهما كلف الامر .. انه متعب ويكاد يموت من العطش .

فنظر اليه السائق من زاوية عينه دون ان يكلف نفسه مشقة الالتفات :

ـ اتريد ان يفقأ احدى عينيك ؟!

قال الشاب وهو يداوم البحث بعينيه في الارض الجرداء الممتدة حولهم بلا انتهاء :

ـ انها مغامرة .. وهو يستحق كل ما نفعله .

ـ قيمته فقط فيما يدفعون لنا عنه وهي باي حال لا تعدل قيمة واحدة من عيني .

وكانت السيارة ما تزال تنطلق في الارض الجرداء الممتدة تحت وهج الشمس .. وضحك السائق ضحكة ثقيلة وقال :

ـ انظر .. انه هناك ولقد ميزته قبلك رغم نظري الضعيف ..

وكان امامهم في المدى البعيد على الارض الحصباء يقبع طائر غريب ابيض اللون هائل الجسم يلم جناحيه حوله بقوة ويحني راسه نحو الارض وهو يحتفظ بنظرته مصوبة الى الامام فكانه لم يعد يستطيع حمل راسه الضخم المزود بمنقار يشبه منجلا صغيرا وعينين على الجانبين يبدوان كدائرتين من الانتباه . ولم يرفع راسه من الارض ولم ينفض جناحاه بل واصل التحديق في السيارة التي اخذت تقترب منه فكان يبدو وريشه الابيض اللون قذرا ساقطا في بعض نواحي جسده وارتفاعه يكاد يعلو عن قامة الانسان ، وحدق الشاب بقوة وهو يحدق فيه ومد يده ليهديء من انطلاقة السائق ، ثم قال بلهجة مندهشة :

ـ تمهل .. لا ادري بماذا يفكر هذا الطائر الملعون .. من اين جاء وما الذي دفعه الى هذه الصحراء القاحلة ؟!.

واوقف السائق السيارة واخذ يرقبه دون ان يبدو على وجهه اي تعبير وكان الطائر لا يبعد اكثر من سبعة امتار ، محتفظا بوقاره ويحني راسه نحو الارض محدقا فيهما بنظرة متسائلة .

قال السائق :

ـ عجيب .. انه رخ السندباد فيما اعتقد !.

اجاب الشاب وهو يواصل النظر نحو الطائر :

ـ لقد قلت لك .. انه نسر ابيض وهذا النوع نادر جدا لانه لا يولد الا مرة واحدة من بين مئات النسور .. لا يولد الا بطفرة وراثية !.

اعقب السائق وهو يمسح العرق المنصب من وجهه بمنديل ازرق :

ـ عجيب .. ولكنه يحيى في الجبال فيما اعتقد فما الذي دفع به الى هذه الصحراء الميتة ؟!.

قال الشاب وهو يكز على شفته السفلى بقوة :

ـ الا ترى .. انه عجوز .. لعله جاء لينتحر .

التفت السائق نحوه وفي عينيه الدامعتين تلوح نظرة مشفقة :

ـ ينتحر ؟.. ولماذا ؟!..

اجاب الشاب بلهجة يشوبها الحزن واللامبالاة :

ـ لانه ربما لم يعد يستطيع التحليق في الاعالي .

وساد صمت ثقيل لبرهة . وفتح السائق فمه في محاولة لاستئناف الحديث الا انه لم يجد ما يمكن ان يناسب الموقف الذي خيم عليه الجمود والمأساة فجاة فاطبق شفتيه وعاد الى التحديق في وجه النسر . ولما لم يستطع تحمل ذلك الصمت الذي كان يحمل الكثير من الافكار والمعاني ، نبر باستنكار :

ـ عجيب .. ينتحر ؟!..

اعقب الشاب وهو يمط شفتيه وعلى وجهه تبدو سيماء الانفعال والتفكير :

ـ .. انها مجرد فكرة .. لا تأخذها ماخذ الجد .

ثم مد يده بهدوء وفتح باب السيارة وتناول من المقعد الخلفي بطانية ثخينة . قال السائق بعد ان تأكد ان صاحبه ينوي فعلا امساك النسر حيا :

ـ نعوذ من الشيطان ولا تحاول الخروج اليه .. ربما يفقأ عينيك وربما ياخذك ويذهب بك الى حيث لا يعلم الا الله .

اجاب الشاب وهو يهبط الى خارج السيارة :

ـ لا تخف .. فهذه هي اروع لحظات المطاردة .

وكانت الشمس في الخارج تمور غضبا وتلقي بشراسة اشعة حامية والارض تتمدد باستسلام سام تحت تلك الاشعة ، وغير بعيد عن السيارة كان ضب اغبر بطول ذراع يخرج راسه من جحره يفغر فاه ويلهث وهو يرقب تقدم الشاب نحو النسر وحالما امر به يبسط البطانية بين يديه اسرع في الاختفاء داخل جحره ، وظل النسر يحني راسه نحو الارض محتفظا بعينيه ترصدان كل حركة ثم تحرك اخيرا بعد ان كاد صياده يصبح قريبا منه فافرد جناحيه ولكنه لم يستطع الطيران فتحجل وجناحاه يخفقان في محاولة فاشلة للطيران وظل يركض ويركض حتى استطاع اخيرا ان يرتفع قليلا عن الارض وبجهد بالغ كان يضرب جناحيه الواسعين في الهواء لكي يرتفع اعلى فاعلى ، وهكذا استطاع ان يهرب للمرة الثانية من دون ان يستطيع الشاب اللحاق به . وضع الشاب يده امام وجهه ليقيها اشعة الشمس وتطلع اليه فوجده يبسط جناحيه ويدور فوقهما لعدة مرات ثم يتجه بعيدا عن السيارة . وكان الضب الاغبر قد عاد فاخرج راسه من جحره ولكنه لم يعد يستطيع تمييز النسر بسبب تحليقه العالي . وعاد الشاب الى السيارة .

قال السائق وقد انطلقت السيارة باتجاه النسر :

ـ هل نحن في اتجاه الطريق العام الان ؟

فنظر الشاب في بوصلة كان يحملها معه في جيبه واجاب :

ـ لا .. نحن نقابل الفرات الان .

فاعقب السائق وعيناه الدامعتان تشيان بالضيق والانزعاج :

ـ لولا هذا « الحك » لالتهمتنا هذه الصحراء من غير ان نهتدي على الطريق العام حتى لو صرفنا اربعة ايام في البحث عنه .

ووضع الشاب نظارته السوداء بمنديله واضاف بلهجة لامبالية :

ـ انه ليس « حكا » .. انها بوصلة ..

الا ان السائق اعترض بصوت متعب :

ـ كنا ندعوه « حكا » عندما كنا في الجيش .

وقفزت السيارة مرة اخرى بعد ان اجتازت عقبة صغيرة فقال السائق :

ـ عجيب .. ما اكثر الحصى في هذه الصحراء !.

فاعقب الشاب وهو يحتفظ بنظرته معلقة في النسر الذي كان يهبط رويدا رويدا :

ـ ولذلك سميت هذه المنطقة بالحصوة .

وكانت السيارة ما تزال تتقافز كالحصان الهائج على الارض الصحراوية الحصباء التي تعكس وهج الشمس الحامية بقسوة وحدة وهي تنداح على مدى البصر حولهم في كل الجهات عندما غير النسر اتجاهه فجاة فحجز سقف السيارة مجال رؤيته . وظلت السيارة تدور في محاولة لاستعادة رؤيته في الجو الا انه اختفى تماما حتى ان السائق كان يلتفت بين آن وآخر نحو صاحبه متسائلا بنظرة قلقة عما يمكن ان يكون قد جرى للنسر . واوقف السائق السيارة وقال :

ـ هل يمكن ان يكون قد سقط فجاة ؟.

اجاب الشاب بلهجة حائرة :

ـ لا اعتقد .. لن يكون سقوطه هكذا !.

ثم صمت للحظة واضاف :

ـ لا ادري .. انه متعب حقا ولقد اتعبناه كثيرا .

وظلا يبحثان بعينيهما في الارض الجرداء الا من بعض النباتات البرية التي كانت ترتفع كهياكل اشباح جامدة .. ولم يلح لهما في تلك الارض اي اثر للنسر . فادار السائق محرك السيارة وانطلقت تدور هنا وهناك في امل العثور عليه طائرا في الجو او ممددا على الارض حتى ان السائق بسط شفتيه الخشبيتين لاول مرة في محاولة للابتسام وهو يقول :

ـ والله عظيم .. لقد استطعنا ان نصرع النسر !

فاعقب الشاب وهو ينظر نحوه نظرة ذات معنى :

ـ اننا لم نعثر عليه بعد !

واهتزت السيارة هزة عنيفة وهي تجتاز حفرة صغيرة اخرى حتى ان المرآة الجانبية انحرفت عن مكانها فكاد ان يطلق السائق صرخة رعب قوية وهو يبصر فيها وجه النسر بمنقاره المعقوف وعينيه الكبيرتين بنظرتهما الثاقبة القوية !. صاح السائق :

ـ انظر !.

واشار بيده نحو المرآة وهو يسارع الى سحب زجاج النافذة الجانبية وامال النسر راسه قليلا ثم ظل هو الاخر يحدق في المرآة بعين واحدة .

وقبل ان يكتشف الشاب مكانه على سقف السيارة خفق بجناحيه بقوة حتى ان نهاية الجناح الايمن صفق زجاج النافذة وكاد ان يحطمها واندفع الشاب بعيدا عنها وعلى وجهه تبدو علائم الخوف من هذا الهجوم المفاجيء فيما نصور ، ولم يستطع النسر رغم ذلك من التحليق فاضطر الى الهبوط امام السيارة وهو يحرك جناحيه في محاولة مستميتة للارتفاع وكانت نظرته تزداد غضبا وهو يشعر بعجزه وانفرج منقاره المعقوف وكانه يريد ان يخرج عن صمته .

ظل النسر يركض وهو يصفق بجناحيه والسيارة تتبعه ، يرتفع حينا ويسقط حينا اخر حتى اصبحت السيارة خلفه تماما ففتح الشاب الباب الجانبي بعد ان تناول البطانية الثخينة ، ثم اسرع يعدو في اثره وهو يبسط البطانية بين يديه من جديد وحال ان اصبح قريبا منه رمى بها عليه الا ان النسر اندفع وارتفع بقوة مفاجئة وهو يلقي على مطارده نظرة سامة تشبه نظرة الانسان .

وحلق النسر عاليا ايضا الا ان جناحيه كانا يتحركان بتثاقل وجهد وكانت الشمس قرصا احمر ملتهبا والارض صفراء مستسلمة والسماء تكاد ان تكون بيضاء من السموم .

ودار النسر حول السيارة ، والسيارة نقطة رمادية في صحراء ممتدة بلا انتهاء تطارد النسر كوحش جبان يلف نفسه بالحديد والنسر ينظر الى اسفل ونظرته تشتعل غضبا .. ولوى النسر راسه باسطا جناحيه وانحدر بعيدا عن السيارة في طيران انسيابي وكانه عزم على امر ما . فتبعته السيارة على الفور والعيون الزجاجية للوحش الحديدي تطارده ابدا .

وكان الشاب والسائق يرقبان النسر من مكانهما في المقعد الامامي واصبح واضحا ان النسر يجرب اخر محاولات الهرب فاستعد منهما واستعد .. غير ان استعداد النسر لم يطل هذه المرة اذ راياه يستدير ويدور دورة واحدة حول نفسه ثم راياه ايضا يتجه نحوهما مباشرة وبدا على النسر انه قد فضل الهرب في الاتجاه المعاكس بعد ان اكتشف لا جدوى الاتجاه الاول ، فتوقفت السيارة بانتظار استقراره على اتجاه معين وواصل النسر انحداره من الاعالي ولكنه كان يبدو وكانه يتجه فعلا نحو السيارة بالذات .

ولم يكن النسر مترددا ولم يكن مخاتلا لانه استمر في انحداره نحوهما وكانه قرر القضاء على الوحش الجبان المغلف بالحديد . وكان يقترب بسرعة هائلة وعيناه تلمعان كسيفين في وجه الشمس فانقض على زجاج السيارة الامامي وارتطم به . وتهشم الزجاج وتطايرت شظاياه . ففقئت عيون الوحش الحديدي ، وسقط النسر امامهما بلا حراك ..

كان النسر يبدو ضخما اكثر من ذي قبل ولم يكن ريشه الابيض قذرا كما يلوح للرائي اول مرة لكنه كان اصفر حائل اللون ، ولعل ذلك بفعل تأثير الشمس وغبار الصحراء او بفعل الكبر والهرم . وكان النسر وهو ميت يحتفظ بعينيه مفتوحتين وفيهما نظرة مبهمة موجهة نحو السماء وكان السائق والشاب ينظران اليه بوجوم فقال الاول :

ـ لقد فقدنا كل شيء .

الا ان الشاب اجاب بهدوء وعلى شفتيه ترتسم ابتسامة حزينة :

ـ على العكس .. لقد رايت على الاقل كيف تموت النسور ■■

من شعر موزامبيق المقاوم

قصيدتان للشاعر الموزمبيقي المعاصر **جورجي ريبيلو** ترجمهما عن الروسية ـ خصيصا لـ « هدف » : **الدكتور جليل كمال الدين :**

١ . الحرية

الحريه ،
انك ستاتين في يوم من الايام ،
اعرف هذا ،
ولكن اذا جئت بعد استشهاد
امد نضالي
وحياتي
ـ وكل حياتي نضال ـ
فلا تنسي
اني احببتك دون حدود ،
واني بحثت عنك دون كلل ،
طوال حياتي المجهدة .

ولتوقفي ولو للحظة
حول قبري :
فاني حتى ميتا
احس بقدومك ،
وساعرفك
وسيقشعر عظامي وتطمئن روحي .

٢ . اشعار جندي

اماه !
ان في يدي بندقيه .

ان ابنك ،
الذي راته عيناك وقتا ما
في الاغلال والاصفاد
فكيف
كما لو ان هذه الاغلال
قد قلت وجرحت
يديك وقدميك ،
ان ابنك اليوم حر !
ان في يدي بندقيه
وهذه البندقيه
تحطم كافة الاغلال ،
تفتح كافة السجون ،
تقتل كافة الطغاة ،
وتعيد ارضنا لشعبنا .

اماه !
كم جميل القتال
باسم الحريه !
في كل رصاصة اطلقها
نبأ الحكم العادل
والاحلام المريحه .
ان رصاصي يتناثر ، ويحلق وينطلق كالطيور ،
في ساعات القتال ،
في ذروة المعركه .

اماه ،
ان صورتك ترقد معي على الدوام
ومن اجلك اقاتل انا ايضا ،
من اجل ان
لا تذرف الدموع عيناك .

من انتاج الرفاق

لو جئت في عصر تطارده الحقيقه
ورحلت بين الله والشيطان
في نار الحريقه
استطلع اللاهوت عن كنه
الخليقه

فلقد اصيح بين تهاويل اليقين :
اوشما تسوج اسمال الشحاذين
ام قارا يلطخ اردية الحساسين

لو جئتكم في زمن غارت به الشموس
عبدتموه صوتي اذن
.. طاطائم الرؤوس
وما انا نبيكم ... ولا انتم مجوس

ولكنني اتيتكم في وضح المجره
الفيتكم مطلية وجوهكم بالزيف
الف مره
شعوركم حلقتموه ذره ...
فذره

لكنني لو جئت في كفي القمر
فطعمتموه كفي اذن
وقلتموا : كمثلنا هذا بشر
وكفه غواية تصنعها كف
القدر

لكنني « لوركا » الذي يريد
ان لا يموت ...

رغم وطأة السياط
وحافيا في زمن النفي
الجديد

قد يسحلوا من تحته البساط
لو كنت في عصر تؤمن بالخرافه
لكنت لي يا موطني اسطورة
طويله

لكنه الرق الذي نخافه
لفقتني يا موطني اقنعه بديله

وها انا نبيكم لكنني لم اتكم برساله
فدايكم .. ان تؤمنوا
او تكفروا

ففي غد ستشهدوا ارتحاله

حينما فاتحتهم بالامر
قالوا
بعد ان اعتقتهم رفضوا
وقالوا :

هذي غوايه بعد لم تصلب
ونحن متى نشاء على اعقابنا
ننقلب ..

سلام صادق الحيدري
قلعة سكر ـ العراق
٧٢/٩/٦

أناشيد الأجيال الطالعة من ليل الشرق

شعر
حسين عجة

« ١ »

قلت ..
خذوا كل هذا ،
البيت والمقهى والشوارع ...
فالرغيف الساخن يغني والرجال يموتون ابدا ...
الان او في الزمن الاتي ،
غير ان الشمس تعاند في السماء البعيدة ، والاجيال تطلع ،
من الشقوق والحيطان والعشب الصاعد ،
لتقاتل بالاسنان والمطارق والاظافر
« باتريك ارغوبلو »
هذا وعد .
وليمسحوا من كل القواميس عار الخيانه ..
اعني الرجال ،
فنحن ناتيك في الصبح الاول في البرد وفي الثياب الممزقة .
اسمعني جيدا ... اسمعني :
انت تملأنا مثلما يملأ الرعد اكواخ الفقراء .
مثلما تملأ الدم الساحات الواسعة .
ولن ننسى وجه الفلسطينية الملثم
بالحـــزن والشجـــاعة .

« ٢ »

ابعدوا عن الاسلاك الشائكة ،
والبحار الملغومة بالاسرار ، ايها الاعداء .
انتم يا من تعلمون ان الرياح فيشارات تهب
والثـــورة
تولد من (بئر السبع) ونسف القطارات وتخريب المخازن .
الان ...
ساملأ الوطن بالصراخ ، املأ الجوع بالشهوة في ان يكبر ويقاتل
الان اقول للجوع .. ايها الجوع
اقول للثورة .. ايتها الثورة ، اقول للحراب :
ايتها الحراب
« ارى امما تنهض »
هكذا اضع الكلمات كالموس واجرح بها جلد الوجه
فما انت ايها الوطن ... ؟؟
اذا لم تكبر في الصراخ .. ؟؟
اذا لم ترتوي بالـــدم .. ؟؟